

تفسير البحر المحيط

@ 76 @ والتنوين ، وفدى لك بالقصر ، وفداء لك . والظاهر من قوله : { فَإِمْـَّا مَنِّـَّا } : المن بالإطلاق ، كما من الرسول عليه الصلاة والسلام على ثمامة ، وعلى أبي عروة الحنفي ، وفي كتاب الزمخشري : كما من على أبي عروة الحنفي ، وأثال الحنفي ، فغير الكنية والاسم ، ولعل ذلك من الناسخ ، لا في أصل التصنيف . وقيل : يجوز أن يراد بالمن : أي يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا ، أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة . .

والظاهر أن قوله : { حَتَّى تَصْعَـَ الْحَرَبُ أَوْ زَارَهَا } غاية لقوله : { فَشُدُّوا الْوَتَاقَ } ، لأنه قد غيا ضرب الرقاب بشد الوثاق وقت الإثخان . فلا يمكن أن يغيا بغاية أخرى لتدافع الغائتين ، إلا إن كانت الثانية مبينة للأولى ومؤكدة ، فيجوز ، لأن شد الوثاق للأسرى لا يكون إلا حتى تضع الحرب أوزارها . إذا فسرنا ذلك بانتفاء شوكة الكفار الملقين إذ ذاك ، ويكون الحرب المراد بها التي تكون وقت لقاء المؤمنين للكفار ، ويجوز أن يكون المغيا محذوفاً يدل عليه المعنى ، التقدير : الحكم ذلك حتى تضع الحرب أوزارها ، أي لا يبقى شوكة لهم . أو كما قال ابن عطية : إنها استعارة بمعنى إلى يوم القيامة ، أي اصنعوا ذلك دائماً . وقال الزمخشري : فإن قلت : حتى بم تعلقت ؟ قلت : لا يخلو من أن تتعلق إما بالضرب والشدة ، أو بالمن والفداء . فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رحمه الله : أنهم لا يزالون على ذلك أبداً إلى أن يكون حرب مع المشركين ، وذلك إذا لم يبق لهم شوكة . وقيل : إذا نزل عيسى بن مريم ؛ وعند أبي حنيفة رحمه الله : إذا علق بالضرب والشدة . فالمعنى : أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الأوزار ، وذلك حتى لا يبقى شوكة للمشركين . وإذا علق بالمن والفداء ، فالمعنى : أنهم يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها ، إلى أن تناول المن والفداء ، يعني : بتناول المن بأن يتركوا عن القتل ويسترقوا ، أي بالتخلية بضرب الجزية بكونهم من أهل الذمة ، وبالعذاب أن يفادى بأسارى المشركين أسارى المسلمين . وقد رواه الطحاوي مذهباً لأبي حنيفة ؛ والمشهور أنه لا يرى فداءهم بمال ولا غيره ، خيفة أن يعودوا حرباً للمسلمين . { ذَالِكَ } أي الأمر ذلك إذا فعلوا . .

{ ذَالِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآنْتُمْ بِهِمْ } : أي لا أنتقم منهم ببعض أسباب الهلاك ، من خسف ، أو رجفة ، أو حاصب ، أو غرق ، أو موت جارف . { وَلَآكِن لِّيَذِلُّوْا } : أي ولكن : أمركم بالقتال ليبلو بعضكم ، وهم المؤمنون ، أي يختبرهم ببعض ، وهم

الكافرون ، بأن يجاهدوا ويصبروا ، والكافرين بالمؤمنين بأن يعاجلهم على أيديهم ببعض ما
وجب لهم من العذاب . وقرأ الجمهور : قاتلوا ، بفتح القاف والتاء ، بغير ألف ؛ وقتادة ،
والأعرج ، والأعمش ، وأبو عمرو ، وحفص : قتلوا مبنياً للمفعول ، والتاء خفيفة ، وزيد بن
ثابت ، والحسن ، وأبو رجاء ، وعيسى ، والجحدي أيضاً : كذلك . وقرأ علي : { فَلَاَن
يُضِلَّ } مبنياً للمفعول ؛ { أَعْمَالَهُمْ } : رفع . وقرئ : يضل ، بفتح الياء ، من
ضل أعمالهم : رفع . { سَيَهْدِيهِمْ } : أي إلى طريق الجنة . وقال مجاهد : يهتدي أهل
الجنة إلى مساكنهم منها لا يخطؤون ، لأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا ، لا يستبدلوا عليها .
وروى عياض عن أبي عمرو : { وَيُدْخِلُهُمْ } ، و { يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ } لِيَوْمٍ .
{ الْجَمْعِ } ، و { إِنَّ زَمَانًا نُّطْعِمُكُمْ } ، بسكون لام الكلمة . { عَرَفَهَا لَهُمْ }
، عن مقاتل : أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء
أعطاهه . وقال أبو سعيد الخدري ، ومجاهد ، وقتادة : معناه بينها لهم ، أي جعلهم
يعرفون منازلهم منها . وفي الحديث لأحدكم بمنزلة في الجنة أعرف منه بمنزلة في الدنيا .
وقيل : سماها لهم ورسمها كل منزل بصاحبه ، وهذا نحو من التعريف . يقال : عرف الدار
وأرفها : أي حددها ، فجنة كل أحد مفرزة عن غيرها . والعرف والأرف : الحدود . وقيل :
شرفها لهم ورفعها وعلاها ، وهذا من الأعراف التي هي الجبال وما أشبهها . وقال مؤرج وغيره
: طيبها ، مأخوذ من العرف ، ومنه : طعام معرف : أي مطيب ، أي وعرفت القدر طيبتها
بالملاح والتابل . .

{ إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ } : أي دينه ، { يَنْصُرْكُمْ } : أي على أعدائكم ، بخلق
القوة فيكم ، وغير ذلك من المعارف . { وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } : أي في مواطن الحرب
، أو على محجة الإسلام . وقرأ الجمهور : { وَيُثَبِّتْ } : مشدداً ، والمفضل عن عاصم :
مخففاً . { فَتَعْسَاءَ لَهُمْ } : قال ابن عباس : بعد الهم ؛ وابن جريج ، والسدي :
حزناً لهم ؛ والحسن : شتماً ؛ وابن زيد : شقاء ؛ والصحاك : رغماً ؛ وحكى النقاش :
قبحاً . { وَالَّذِينَ كَفَرُوا } : مبتدأ ، والفاء داخله في